التّجلي النّوراني للأسماء الحسنى عند النّورسي

منية الماجري *

المستخلص

تعتبر" رسائل النّور" من أهمّ المشاريع التّجديديّة لفترة المعاصرة الإسلاميّة والّتي اعتمدت النّظر في المرجعيّة الإسلاميّة وتجديد العهد مع مصادرها الأساسيّة الخاصّة وهو الوحي و السّنة .

ومن هذه الوجهة اهتمّ هذا البحث بتثمين الطّرح العقدي للأسماء والصّفات الإلهيّة الّذي اعتمده "النّورسي " حيث عكس مُصنّف "الشّعاعات " و"الكلمات " وحتّى" اللّمعات" تطويرا عقديّا للوعي بالصّفات والأسماء لتكون سببا من أسباب التّوازن النّفسي عند المسلم وعاملا من عوامل التّواصل الحضاري مع الآخر المُختلف عنّا دينيّا وهذا على المستوى الموضوعي وإتقان العبادة والقرب من الله على المستوى الذاتي

الكلمات المفتاحية : الأسماء الإلهيّة, الوحي , الشّعاعات

*دكتوراه أستاذة محاضرة اختصاص العقيدة وأصول الدين بالمعهد العالي للحضارة الإسلامية جامعة الزيتونة تونس

* PhD Lecturer, specializing in Creed and Fundamentals of Religion, Higher Institute of Islamic Civilization, University of Ez-Zitouna, Tunisia

E-mail:

monia.mejri4@gmail.com

Orcid:

0000-0002-3566-6183

Received: January 12, 2025

Accepted: January 28, 2025

Published: January 31, 2025

Citation:

Mejri, Monia, *“The luminous manifestation of the Divine Names and Attributes according to the Nursi”*, Istanbul, The Journal of Risale-i Nur Studies 8:1 (2025), 89-101

The luminous manifestation of the Divine Names and Attributes according to the Nursi

Abstract

The "Risala al-Nur" is considered one of the most important innovative projects of the Islamic contemporary period, which adopted the consideration of the Islamic reference and the renewal of the covenant with its special primary sources, which are the revelation and the Sunnah.

From this point of view, this research was concerned with valuing the doctrinal interpretation of the Divine Names and Attributes adopted by "Nursi".

Whereas the compilation of “rays”, “words” and even “luminations” reflects a doctrinal development of awareness of Attributes and Names to be one of the causes of psychological balance for the Muslim and a factor of civilisational communication with the other who is different from us religiously and this is on the objective level and mastery of worship and closeness to God on the subjective level.

Keywords: The Divine Names, Rays, Revelation

المقدّمة

يعيش المسلم اليوم اكراهات حداثيّة بتجليات متعدّدة منها ما هو ذاتي من جنس بيئته ومجتمعه ومنها ما كان مجلوبا مغايرا له ولكن مؤثرا في حاضره ومستقبله فالمسلم هو صاحب المشروع التوحيدي الذي يُكابد لإحياء عبادته وتثمينها لتكون عبادة ايجابيّة تخلو من شبهات الترهيب والتكفير لأنها تُجاهر بالتوحيد وهو إعلان بالمُغايرة وإلغاء التثنية وأنها عبادة تتأصل في المُشترك التنزيلي التكويني للدين "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ"

وهو ما أسس المُشترك التكويني للجماعة عبر العمل فبالجماعة يتضاعف التثمين الأخروي للأعمال وعبر الجماعة يتواصل المسلم مع أخيه المسلم لتكون البسمة له صدقة وبتواصله الإيجابي يُجاهد النفس الأمّارة فيترقى في مراتب الإحسان ليَحُوزَ مقام الطمأنينة ويتجاوز بذلك إكراه اللوم والندم ليَعيش في رَوْح المُجاهدة ويتخلص من ثِقَلِ العوائق النفسيّة التي تُحاصره فيكون له ذلك وِجاء يمنع عنه ضغط القدح في فاعليّة ما يحمله من مرجعيّة إيمانيّة أساسها التوحيد ويحقق بذلك أولى مراتب التمتع بما آمن به وهو الله، فالوعي الاستشرافي للتوحيد أولى مراحل الوعي بما عرّفنا به النص المنزّل من مداد نفسي ومُجتمعي عبر التأمل والنظر في تجليات الأسماء والصفات الحقيقة بالله تعالى وهو ما يُقدّم له فاعليّة التجاوز للإكراهات الذاتيّة ويحقّق بذلك الثقة الفاعلة في ذاتيته التوحيديّة ليواجه بهذه القوّة المتأصّلة في التناسق التنزيلي لصفات المعبود ما تقذفه الإكراهات الموضوعيّة المُقبلة عليه بوسائل شتى أساسها اقتحام علمي عبر وسائل الاتصال والتواصل سنَدُهُ القول الإقصائي للمسلم لأنه بدعة تلفظها الحداثة وتجرّمها بما يمثله من تأصيل للإرهاب والدمار الشامل.

يحتاج المسلم اليوم إلى مناعة التذوّق التوحيدي للأسماء والصفات الإلهيّة والتي تجلت كمكتوب مرجعي تكلم به رائد التجديد الديني "سعيد النورسي" لتلمع الثقة النورانيّة في أنفس الموحدين وتتأسس بذلك ثقافة الدفع الإيجابي للتأسيس والتعمير وينقضي حصار اليأس الحضاري الناتج عن التقزيم الغربي والنسيان الإسلامي لأخلاق الأمل التي نزلها النص القرآني حين قال : "إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" [آل عمران، 19] ما بين "الكلمات" و"المكتوبات" و"اللمعات" تأسست قراءة ايجابيّة للعمل في رحاب التوحيد والإيمان قدمها "بديع الزمان سعيد النورسي" وقد أبدع فعلا في الاشتغال على مسألة تبدو للناظر إليها للوهلة الأولى بديهيّة من بديهيات التوحيد وهي تجليات وآثار الأسماء في دفع فاعلية العمل والإقبال كمفاعيل حركيّة للمُوحد وهي مسألة نبهنا إليها الرائد "سعيد النورسي" من خلال "رسائل النور" فمن خلالها رسم منهجا إيمانيّا للاستدلال على الطريقة العقديّة للعمل الإيجابي أساسها الاستجماع الإيماني للأسماء والصفات من حيث المراقي التوحيديّة وأثر ذلك في تحقيق الثقة والتغيير المعاصر لعلاقة المسلم بالآخر الحضاري وبذاته المعاصرة.

وعبر هذا المنوال المختلف قدم "النورسي" مشروعا اصلاحيا للعقيدة باعتبارها المكون الأساسي للشخصية الاسلامية، وباعتبارها كذلك المكون المحدد لمآلات الوجود الدنيوي والمقام في الآخرة. وتطمح هذه الدراسة إلى تفكيك هذه المقاربة وفقا للتمشي التالي :

1- المبحث الأول: المضامين الإصلاحية عند النورسي.

2- مآلات هذه المقاربة من حيث المسائل والمنهج.

1 – المضامين الإصلاحيّة عند النّورسي :

أ – الجانب التّاريخي للنّورسي:

يعتبر المنوال العقدي مكونا جوهريا في المشروع الاصلاحي "النورسي" ولذلك سنركّز في هذا العمل على مسألتين الأولى ثقافة الدفع الإيجابي للتأسيس والتعمير وذلك عبر المأسسة العقدية التي اشتغل عليها لتحقيق نقلة نوعية تنطلق من التأسيس المنهجي للعمل الايجابي عبر الاستجماع الايماني العقدي لتصل الى التغيير التجديدي على مستوى شخصية المسلم المعاصر أي على مستوى الأفراد ونقصد بذلك الأثر النفسي وبناء الثقة بالذّات وعلى المستوى الاجتماعي من حيث تحول هذه الثقة إلى آلية تحديثيّة ضمن مسالك المجتمع المختلفة وتعني بذلك الأسريّة والتعليميّة والاقتصاديّة وهو مايحقق نقلة نوعيّة في علاقة المسلم بالآخر المخالف لتصبح العلاقات متوازنة بحكم أنّ ما يحركها هو الثقة والتخلّص من الدونيّة إزاء المخالف وهو ما يعكس طبيعة الأمل في الإسلام.

ولا نجد في الحقيقة تنافرا بين مُصنفات النّورسي وبين واقع الحياة الّتي صنعها بخصوصيته وكفاحه.

إذ نجد أنّ الخطّ العام التّجديدي عند النّورسي والطبيعة الحيويّة الإصلاحية التي طبعت حياته منسجمة، فالنّورسي من مواليد أواخر القرن التاسع عشر وكان من طلائع القرن العشرين (1877م) من حيث الحراك الإبداعي الذي ميّز حياته النّضالية فلم تهدأ قارحة النّورسي منذ تلقيه التّكوين التّقليدي للمضامين التّوحيديّة ضمن طابع عام ارتدادي يقوده الاستعمار ومن سانده من القراءات العلمانيّة.

ولد النورسي في قرن قادح للتحديث والتغيير والانسلاخ عن تأصيل الإسلام فرفض هذا الشدّ التكفيري ليعلن مواجهة المخطط الاستعماري لتغييب القرآن والنصّ المنزّل بما هو وحي، ومضامين حيويّة تجمع بين تذوّق الحياة والبناء للآخرة، فقد حرص على أن يكون "القرآن شمس معنويّة لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها" ولذلك فأوّل أركان التجديد هو

انقاذ الإيمان". وإن الخطّ الإصلاحي لن يتحقق إلاّ باعتبار "ضياء القلوب هو العلوم الدّينيّة ونور العقول هو العلوم الحديثة".

هذا المنهج التّأسيسي الإصلاحي الّذي سكن في مصنّفات النّورسي لم تخبو جذوته رغم أنّ قوى الاستعمار قد سعت إلى طمسها بطمس رُفاته في مكان مجهول زمن وفاته سنة 1960 فأشعلت بهذا العمل الإجرامي جذوة مضيئة تنير العقل الإسلامي من خلال المدونة التقعيديّة التي تركها المبدع سعيد النورسي.

ولذلك سنتحدث في هذا القسم الأول من العمل في بعض المضامين الإصلاحية عند النورسي:

ب- الجانب المعجمي:

مثّلت مسألة الصّفات مشغلا تكوينيّا للعقل الإسلامي عموما وللفرق الكلاميّة وما استتبعها من قراءات معاصرة خصوصا وهو مشغل يندرج ضمن أبواب التّوحيد أي ضمن تجليات العقيدة .

فمن المضامين الإيمانيّة توحيد الأسماء والصّفات وهو من المسائل الّتي مثّلت خطا فارقا بين المقالات الكلامية التي أنبتت حولها هيكلة الفرق, وكلّ المدونة النّورسية تشقيق في المبنى والمعنى للمخزون العقدي الاسلامي وهو ما منح العقل الاسلامي المعاصر هامشا معرفيا يجدد من خلاله النّجاعة والفاعلية للمحمول العقدي وتبعا لذلك اشتغلت في هذا الجزء على النموذج التّوحيدي الذي عرضه مصنّف الشّعاعات وهو مسألة الأسماء والصفات وفي الحقيقة تتمتع برونق روحاني ورطب ايماني وانت تتنقل بين ثنايا هذه الكتابة لتقتطف البعض من الدّلالات التّوحيدية النّاجعة تجدّد بها الوصل الإيماني مع الخالق.

معرفة الله واجبة شرعا و عقلا وهو ما يتطلّب الفهم و التدبير و البحث المعرفي لتحقيق الإيمان وترسيخه فالإيمان بها مكوّن من مكوّنات العقيدة فهو وجوب إيماني باعتبارها دلالة على الوجود الإلهي وأن التصديق بها من المسائل التوقيفيّة التي أثبتها الكتاب والسنّة.

ونذكر من ذلك قول الله تعالى : "وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"

وقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "

أمّا عقلا فإن معرفة الله من وشائج القرب والترقي الإيماني لبلوغ الإحسان ولذلك كان العقل وسيلة لإثبات صفات الله عبر الواردات الشرعيّة التي تحيلنا لاستعمال الدليل العقلي للنظر في صفاته، وهو تكليف شرعي لحفظ الأسماء والصفات للاستظهار بها و عدّها إحصاء قوليّا وعمليّا و تخلّقا بها و الدعاء بها

تحيلنا هذه المسألة مباشرة للنظر في المفهوم الدلالي لكلمة الصفة والاسم فنجد أنّ الصفات جمع صفة وهو لفظ مأخوذ من مادّة وصف وصفا للدلالة على فعل التفصيل وما يجري مجراه ويَرِدُ على شكل اسم للفاعل وللمفعول وللتشبيه ولا يوجد فرق بين الاسم والصفة، والاسم عند أهل اللغة هو الصفة لأنّ الاسم يندرج تحته الجامد والمشتقّ أمّا من حيث الدلالة الاصطلاحيّة فالصفة تسمى محمولا والموصوف يسمى موضوعا لحمله فيقال عرض حال في الجوهر فهي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتيّة أو معنويّة أو فعليّة.

أما **<u>الأسماء</u>** فهي جمع للاسم في اللغة :

فهي اللفظ المخصص للمعنى تمييزا له و من حيث المصطلح فهي ما دل على الذات و ما قام بها من الصفات.

و لذلك فمن خصيصة الأسماء الإلهيّة أنها أسماء أعلام وأوصاف في نفس الوصف فنقول الرزاق هو اسم الله تعالى و صفتُه الرزقُ فيرزق خلقه ومن **<u>دلالاتها</u>** في حق الله : **<u>دلالة التضمّن</u>** و ذلك إذا دلّ الاسم على جزء من معناه فنقول **<u>الحي</u>** اسم الله فاسمه متضمّن لصفته.

<u>والثانية دلالة التطابق :</u> إذا دلّ الاسم على كل معناه فالقوي اسم الله وصفته القوّة.

<u>أمّا الثالثة فهي دلالة الالتزام :</u> أن نستدل بالاسم على غيره من الاسماء التي يتوقف عليها قيام هذا الاسم ويكون التزاما ذهنيا فالرزاق اسم الله وصفته الرزق وهو ما يستبطن الحياة لأن الميت لا يرزق.

إذن فالصفات مشتقّة من الأسماء فلكل اسم صفة مشتقّة منه. ومن الآيات ما ذكر في :

الأعراف (180) : "وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ".
(الإسراء 110) : "قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى".
(طه 8) : "اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى".
(الحشر 24) : "هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى" ← (حسنى على وزن فُعلى مثل كبرى تأنيث أكبر).

إذن كما أوردنا ابتداء فالإيمان بالصفات هو في حكم الوجوب الإلزامي لأنه على المسلم الإيمان بما اخبر به وذلك بالاعتقاد الجازم بأن كل ما أخبر به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلّم بمختلف التسميات هو دلالة على الكمال ولا نقص فيها لأن الله المستحق للكمال المطلق.

وطريق التّسمية لله في أسمائه وصفاته طريق متواتر خبري أي عن طريق الكتاب و السنّة الشريفة.

ج- الأسماء والصّفات في القراءة النّورسيّة:

من نافلة القول التّغاضي عن المقام العلمي الّذي صنعه مُنجز النّورسي في المُدوّنة العقديّة الإسلاميّة وذلك لاستغراقه البحثي للمعاني والدلالات السّاكنة في النّص القرآني ليفرعها إلى حراك نفسي وعقدي وسلوكي، ولنا في الباب الخامس من الشعاع الرابع (النورسي، 2021:90) مثالا حيّا على ذلك فقد انطلق من الآية الكريمة "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" آل عمران, 173

وهو انطلاق تأصل في "اللّمعة الخامسة" من مصنفه "رسائل النور" من حيث المعنى والدلالة وهو ارتداد للّمعة الحادية والثلاثين من المكتوب الحادي والثلاثين وفي هذا تأصيل للخط التحليلي العقدي لمجمل المدونة عند النورسي وانسجام العمل المنهجي الذي صنع الفارق العلمي في مدونته نقول إذا أن العلامة المميزة في هذا الباب الخامس من الشعاع الرابع والذي انطلق من الآية الكريمة السالفة هي المهارة التفكيكيّة الإيمانيّة التي أظهرها "النورسي" لبناء مضامين عقديّة تراوح بين النفس والجسم، بين التقبّل والعمل فالمنطلق هو الاحتساب لله لأنه الوكيل المُنعم فتجلّت الخصال الربانيّة جامعة لاستقرار الأمل في نفس المسلم وذلك عبر ما قدمه "النورسي" من استنطاق لأوجاع الأنا الإنسانيّة المسببة لليأس والضعف فعددها بالمرور تفصيلا لمسائل الفوات المالي أو الجسمي الناتج عن طوارئ الأمور عند الإنسان ومحدثات الزمن التي تسلب الإنسان ما تنعّم به من جمال وافتتان ومتاع أحاطه به الله وامتنع يقول "فهذا الكلام دواء مُجرّب لمرض العجز البشري وسقم الفقر الإنساني" (النورسي، 2021:90) ومناط الكلام عنده تعلق السعادة بالوعي بمالك الأمر كله فالفقر الإنساني هو فقر نفسي إيماني بالأساس وهو ما يؤدي إلى الفقر الواقعي.

والآلية الأساسيّة التي نظر بها لهذه الشّقوة الإنسانيّة ما وضعه من "نقاط خمس" (النورسي، 2021:90) تجعل قول الله تعالى "حسبنا الله ونعم الوكيل" دليلا منهجيّا يستدل به المُوحد على الطريق القويم لبلوغ الطمأنينة التعبديّة.

تعمّق هذه النّقاط الخمس الّتي وضعها الاحتساب لله فيكون الاحتساب بذلك أساسا إيمانيّا تتلاقى فيه مراقي الإيمان من التّصديق بـ "موجُود الموجُود" إلى الصّبر على فراق المحبوب لأنّ المحبّة للباقي فنجد قوله "إذ هو المُوجِدُ المُوجُودُ الباقي فلا بأس بزوال الموجودات لدوام الوجود المحبوب ببقَاءِ مُوجِدِهِ الواجب الوجود".(النورسي، 2021:90)

ويمرّ التقعيد الإيماني بين مناطات النفس الواعية ليقول "وهو المعبُود المحبوبُ الباقي، فلا تألم من زوال المحبوبات المجازيّة لبقاء المحبوب الحقيقي".(النورسي، 2021:90)

ارتسمت الكلمة القرآنيّة بذلك هرما نفسيا يتخلص فيه المُوحد من شقوة الألم على ما فات إلى طمأنينة العابد المُحبّ لمعبوده وهو ما أسميناه بهرم الأمل عند النورسي :

ويتواصل توليد المعاني وتوليدها لخلايا روحانيّة تجعل من الاحتساب محبّة وتمنع عنه الندم والتحسّر ونجد ذلك في مجمل هذا الباب الخامس الذي أردناه استدلالا على معنى الاحتساب والتوكل استنادا لمعاني الاسم وهو "الوكيل" "ومعنى التوكل على الله اتخاذه وكيلا للإنسان فيكون العزم والتسليم له والاعتماد عليه فيتأسس اليقين بالإحاطة الربانيّة وعدم الإهمال الرباني لما تصنع من الأمر لقوله تعالى "رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا"[المزمل] فيكون بذلك التوكل اتخاذ الأسباب والإقبال على السنن فيخرج بذلك من ضيق التواكل إلى سعة التوكل على الله والأمل في العمل. ونرى النورسي يجمع هذه الدلالات الجامعة لمنطق الأمل كحالة طبيعيّة عند الإنسان فهو يقول : "هو الرحمان الرحيم الودُود الرؤوف الباقي فلا غنم ولا مأيُوسية ولا أهميّة من زوال المنعمين المشفقين الظاهرين لبقاء من وسعت رحمته وشفقته كلّ شيء".(النورسي، 2021:91)

يؤكّد النّورسي هذا البناء التّراتبي للوعي بالتّجلّي الإلهي من خلال صفاته بترسيخ التّواصل التّعبدي بين الإنسان وربه لأنّ في وعيه باسمه وعي بوجوده وفي ذلك تعويض يستبدل به المُوحد وجع الحزن على مستحدثات الدنيا "وما في شخصي من صفة إلا وهي من شعاع اسم من أسمائه الباقية، فزوال تلك الصفة وفناؤها ليس إعداما لها لأنها موجودة في دائرة العلم وباقية ومشهودة لِخالِقِهَا"(النورسي، 2021:91)

ونجد هذا التّوكل الإيجابي مُؤصّلٌ بطريقة أخرى في ذكر اسم الله وهي البسملة أو قول بسم الله وقد ورد هذا في الكلمة الأولى من رسائل النور،(النورسي، 2012:11) "نعم إنّ هذه الكلمة الطيّبة "بسم الله" كنز عظيم لا يفنى أبدا، إذ بها يرتبط فقرُك برحمة واسعة مطلقة أوسع من الكائنات ويتعلّق عجزُك بقدرة عظيمة مطلقة تمسك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات حتى إنه يصبح كلّ من عجزك وفقرك شفيعين مقبولين لدى القدير الرحيم ذي الجلال" .

ونجد هذا التّجلي للاسم الإلهي في اللّمعات، (النورسي، 2011:135) حيث تجلّى الاسم الإلهي في صياغة الطمأنينة الدافعة للإنتشاء بمخلوقات الله لتكون أرضية لحب الكون ومنه حب الحياة المؤسس للارتقاء بالله بالإحسان والفعل وينطلق في هذا التأسيس من أسرار ستة تحيي القلوب والعزائم وتصنع الفارق الإيماني عند الموحد .

فالإشارة هنا تنبيه عقديّ ومعرفيّ من النّورسي لمأسسة الصّلاح والابتعاد عن الفساد , لتكون إرادة الخير إرادة ذاتيّة نابعة من الذّات العقديّة للموحّد .

ويمكن أن نلخص هذا التأسيس بالرسم التالي :

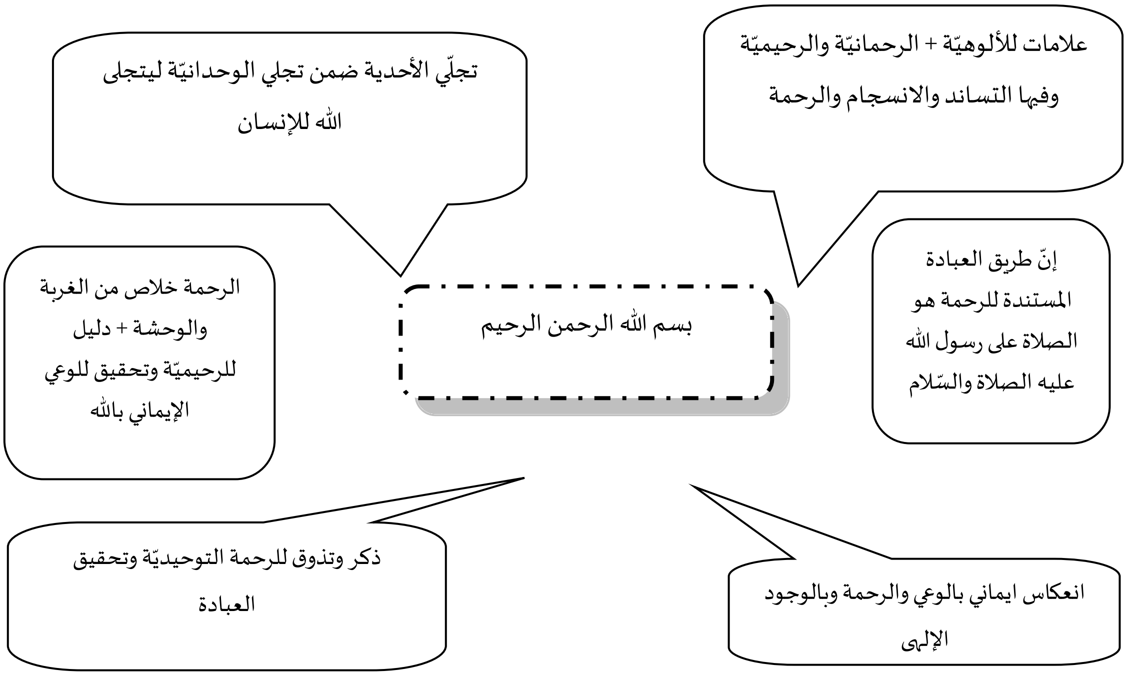

في الحقيقة تعدّ هذه اللمعة على طول الصفحات 127 إلى 143 تفكيكا واستجماعا للاستدلال على ايجابيّة التوكل على الله ابتداء في كلّ الأعمال واعتماد الأسماء في الأنفس والأجسام وربط منهجي بين الوعي بالتوحيد وبين التصديق بمبلغ الوحي، وفي هذا جمع نفسي وقلبي بين القرآن والسنّة وفي ذلك تذكير سلوكي للاقتداء بمن بعثه الله رحمة للعالمين.

وهو ما يحيلنا إلى الجزء الثاني من هذه المقاربة ونقصد بذلك الدور التأسيسي "لرسائل النور" في مَنْهجِة الدّافع الإيماني في تحقيق الإيجابيّة في العمل وجعله الغاية القصوى في ذات الموحّد .

2-التّأسيس المنهجي الإيماني بالعمل عبرتمثّل الأسماء والصفات :

أ- معنى العمل :

يعكس العمل معنى الفعل والحراك والتحرّك. وهي خصيصة قرآنيّة دعا إليها الوحي .

يحقّق العمل المقام الأسنى العقدي , وبه ترتقي صعودا لتتقرّب زلفى إلى الله لأنّه معيار استحقاق الجزاء, وبه تثمّن المواقف والمصداقيّة في علاقة الإنسان بربّه ,وفي علاقة الإنسان بنفسه وبغيره في كلّ تمظهراته السّلوكيّة .

والعمل والفعل والدّفع دلالات ساكنة في الوحي سواءا كان في النصّ القرآني كقول الله تعالى في محكم تنزيله : "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا" الكهف , 30٠ او كقول الرسول عليه الصلاة والسّلام : "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلةٌ فإن استطاع أن لا يقوم حتّى يغرسها فليفعل". والعمل قيمة أخلاقيّة حقوقيّة وواقعيّة في الإسلام ولذلك فقد ورد لفظ العمل في 360 آية وتحدّثت 109 من الآيات حول الفعل وخاطب الله مريم البتول حين جزعها بأن أمرها بالعمل فقال : "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا" مريم, 25، فكان أمرا إلهيّا متعديّا لكلّ بني آدم .

يحقّق العمل دورا توحيديّا للإنسان وهي الرّوح الإيجابيّة الفاعلة, وهذا مناط مصنّف "رسائل النّور" في عمومها .

أمّا في خصوص المسألة متّعنا "النّورسي" باستنطاق هذه المعاني الدلاليّة التي تسكن النص المنزل بأن نظر في كل الوشائج الضامنة للانتساب إلى الحضرة الإلهيّة وحبلُها المتين العمل، ففصل القول فيه في كل المدونة النورانيّة ونجد ارتباطا وثيقا بين الدفع الإيجابي للمؤمن وبين وعيه بالروحانية الواقعيّة لتجلي الأسماء الإلهيّة عنده يقول "... فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصّنعة الإلهيّة فيه وظهور آيات نقوش الأسماء الربانيّة على صفحة وجوده"،(النورسي، 2012:348) ويقول كذلك "حيث خَلقَهُ الباري

مظهرا لجميع تجليات أسمائه الحسنى وجعله مدارا لجميع نقوشه البديعة جلّت عظمته، وصيّره مثالا مصغّرا ونموذجا للكائنات بأسرها". (النورسي، 2012:348) كما يقول كذلك "فالإيمان يقتضي التوحيد والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل والتوكل يسهّل الطريق إلى سعادة الدارين. ولا تظنن ان التوكل هو رفض الأسباب وردّها كليّا وإنّما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حُجُب بيد القدرة الإلهيّة ينبغي رعايتُها ومُداراتها. أمّا التشبث بها أو الأخذ بها فهو نوع من الدّعاء الفعلي ... والدّعاء سرّ من أسرار العبوديّة".(النورسي، 2012:356)

يقدّم النورسي بهذا منهجا إيمانياً يدفع إلى العمل ,حلقاته عقديّة ونتائجه واقعيّة تجمع بين الدّنيا والآخرة نراه يتطابق والرّسم التّالي:

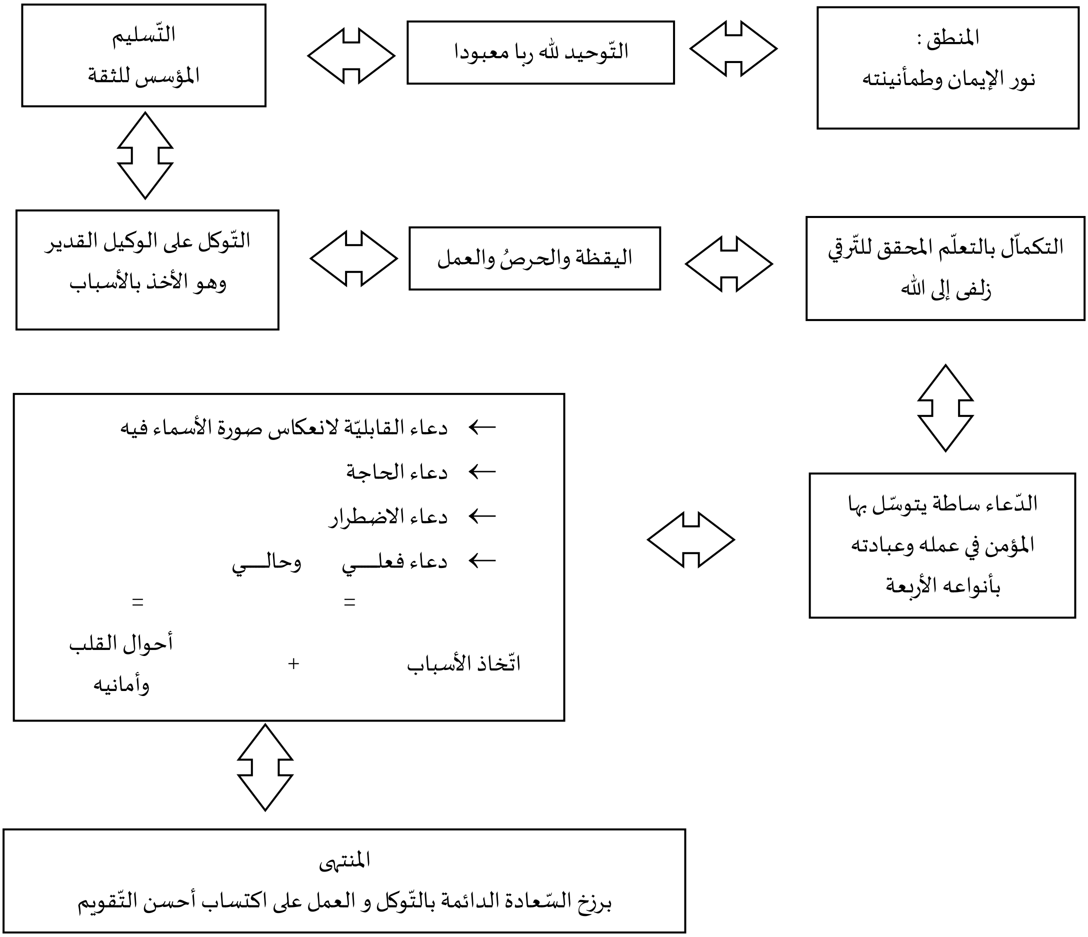

يتعمّق هذا المنهج بحلقة يذكرها النورسي تحقق النقلة النوعيّة من سجن "أسفل سافلين" إلى رياض "أعلى علّيين" وهي حلقة كدح كما قالت الآية الكريمة "يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ" الانشقاق , 86، فهي مكابدة الذّات المؤمنة للبقاء في مقام الطّمأنينة والتخلّص من النّفس الأمّارة وهو ما عبّر عنه النّورسي بالعمل على تغليب "جهة الإيجاد والوجود والخير والإيجابيّة والفعل" أي مواجهة "جهة التّخريب والعدم والشّر والسّلبيّة والانفعال". (النورسي، 2012:361)

يعتبر النّورسي أنّ الإيمان يحفّز الموحّد على فعل الخيرات ونبذ الإساءة والتّخريب الّتي تنتج عن التزييف التأويلي لجميع الأسماء الإلهيّة الحسنى وإنكارُها وهو ما يجعل النفس تسقط في رذالة الكفر واللاإنسانيّة .

لأن الإنسانيّة حسب تفسيره الرّوحي ,هي التّصديق بالأسماء المتجلّية في مرايا الكون وفي صنيعة القدير وهو ما يؤهّله لسيادة الكون وتعميره , والتي جعلته في أحسن تقويم وتقويمه انعكاس للأسماء "الإنسانيّة التي هي قصيدة حكيمة منظومة تعلن إعلانا لطيفا جميع تجليات الأسماء الإلهيّة القدسيّة".(النورسي، 2012:361)

نصل بعد هذا التّصفح المتواضع لمُنجز المبدع النّورسي إلى جملة من المخرجات التي نرى أنها ترسّخ روح العمل الإيجابي عند المسلم الموحّد الفخور بتديّنه للديّان الباقي بعبارة النّورسي , فنقول :

1. اعتبر النّورسي أنّ الاسترداد الإنساني للإنسان أساسُه التّرقي الإيماني القائم على المحبّة والتّوكل وهو ما يحقق قوّة الأمل وينقض أخلاق اليأس ويحقق العمل النّاجع الحضاري.

تصنع المراوحة بين تجليات النفس الروحيّة وأعمالها الواقعيّة نقلة نوعيّة في المنتجات الحضاريّة للمسلم وهو ما قدمته المضامين العميقة لرسائل النور.

2. يعدّ التّرابط بين بين الوعي بالعمق الإيماني للأسماء والآثار النّاتجة عنها ترابطا وشائجه جمّة , وقد عكستها رسائل النور في مجملها فالانتقال المنهجي من التصديق إلى التّعليم ثم إلى التّسليم ومنه للتّوكل ومن خلاله الانخراط في مفاعيل العمل والجدّ واكتساب القدرة والقابليّة على التغيير الإصلاحي ضمن الإطار العام للعبادة. كلّ هذا هو مناط التوحيد وهو تحمل لمسؤوليّة الخلافة التي هي استحقاق بالعمل المخصوص بالإيجابيّة لأنه تعمير وعبادة.

3. صنع الربط المنهجي بين روحانية التجلي الواعي بالأسماء والصفات علاجا نفسيّا إيمانيّا. وإنّ الأثر المباشر لاستغراق الإيمان في ذات المُوحدهو أن تتحوّل القابليّة العظمى للشر في النفس الأمارة إلى قابليّة عظمى للخير لصقلها بالذكر والتفكر والتعرية لتتحول الأنانية المقصورة على فناء الدنيا إلى عمل تعبدي يمتد لخلود الآخرة.

4. ترسيخ الثقة الآمنة والمطمئنة لتحقيق التغيير المعاصر في ذات الموحد في علاقته بربه أولا وفي ظل التصحر الإيماني زمن التحديث وفي علاقته بالآخر و ثانياما تقدّمه هذه العلاقة المنهجيّة بين المراقي الروحيّة لدلالات الصفات الإلهيّة وأثره في عودة المسلم إلى إسلامه.
5. تحقق هذه القراءة الوعي بقيمة الأنا المسلمة للتخلّص بذلك من التقزيم الغربي وتستغرق أخلاق الأمل نفسية المسلم المحاصر بكل آليات الابتعاد عن دينه.
6. الأمل ركن من أركان التديّن وهو إلغاء لليأس الذي هو جسر للكفر وإهمال الدين ولذلك فإن التشبث بهذه التجليات يُعد حماية ضامنة ومانعة لكل أنواع الإحباط والتشاؤم والأمراض النفسيّة المؤدية للانتحار والفساد على المستوى الذاتي وإلى الفرار إلى ساحات الإرهاب بأشكاله المختلفة على المستوى الموضوعي.

خاتمة

ونختم فنقول " إنّ رسَائل النور درس قرآني يوافق فهم هذا العصر" من حيث الاعتماد الرّوحي والنّفسي , فهو تنبيه عقدي للمؤمن لكي يجدّد العهد مع العمل النّافع .

وقد عكست هذه المدوّنة الإيمانيّة المنجزة انطلاقا من النّصوص التّأسيسيّة نجاعة فهميّة من حيث التّفسير , ومن حيث الاندراج في اللّحظة الزّمنيّة الرّاهنة , زمن الّثمين للروحانيّة العقديّة والرّعاية الرّوحيّة الّتي تكتسب وجاهة عقديّة باعتبارها تحقّق التّوازن النّفسي المنشود .

ومن جهة ثانيّة فإنّ هذا التّأصيل يعكس أهميّة عمليّة ومعرفيّة تجدّد للمؤمن مقبوليّة العمل والسّلوك ضمن الأطر الشّرعيّة.

المراجع :

- **القرآن الكريم**

1. الإمام النورسي، الشعاعات، دار الخيرات للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2021م.
2. الإمام النورسي، الكلمات، دار الخيرات للنشر، تركيا، اسطنبول، الطبعة الأولى ، 2012م.
3. الإمام النورسي، اللمعات، دار الخيرات للنشر، تركيا، اسطنبول، الطبعة الأولى ، 2011م.